

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة

قسم: سنة ثانية شريعة

كلية الشريعة والإقتصاد

الفوج : 5

مذكرة دروس السداسي الرابع – بلاغة –

إعداد الأستاذ : موسى سناني

الهاتف

0663244035

البريد الإلكتروني

chikhmoussa01@gmail.com

السنة الجامعية: 2019 – 2020

في حقيقة الفصاحة والبلاغة

مدخل:

اشتعلت نار الجدل صدر الدولة العباسية واشتد لهيبها حتى تطاير شررها إلى جميع أنحاء البلاد الإسلامية بين أئمة الأدب وأصحاب المقالات من علماء الكلام في بيان وجه إعجاز القرآن واختلفوا في ذلك وتعددت نزعاتهم وتضاربت مذاهبهم وآراءهم.

فكان من بين هذه الآراء: رأي إبراهيم النظم الذي يرى بأن القرآن الكريم غير معجز بفصاحته وبلاغته، وأن العرب كانوا قادرين على أن يأتيوا بمثله لكن الله صرفهم عن ذلك تصديقا لنبيه وتأييدا لرسوله حتى يؤدي رسالة ربه، فسمي هذا ب: (مذهب الصرفة) أو نظرية الصرفة لإبراهيم النظم وهو أحد المتكلمين المعتزلة.

فانبرى للرد عليه عدد غفير من العلماء من بينهم الجاحظ والباقلاني وإمام الحرمين والفخر الرازي وغيرهم بالبحث عن سر إعجاز القرآن هذا من جهة وما شجر من خلاف بين أئمة الأدب في بيان وجوه تحسين الكلام حتى يرقى في سلم البلاغة وينال قسطه من الفصاحة من جهة أخرى، فتناقضت آراءهم وتعارضت، فمنهم من يرى أن رصين الكلام الذي يجمع بين العذوبة والجزالة وفريق يرى أن رصين الكلام الذي يولغ في المنطق ويتزين بالبديع.

كل ذلك وغيره كان سببا كافيا أن يلفت أنظار أئمة البلاغة والبيان أن يضعوا قوانين وضوابط يتحاكمون إليها عند الاختلاف وتكون للباحثين في آداب العرب منشورها ومنظومها مرجعا ومنهلا.

ومن هذا نشأت علوم البلاغة والبيان .

أ- أول من دونها: لا نعلم أحدا سبق أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت، 211هـ) تتلمذ على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت، 175هـ) فقد وضع كتابا في علم البيان سماه (مجاز القرآن) ولكنه ليس المجاز الذي نعرفه في علم البيان، بل هو أشبه بكتاب في اللغة توخى فيه جمع الألفاظ التي أريد بها غير معانيها الأصلية

وقد سئل مرة عن قول الله تعالى "طلعها كأنه رؤوس الشياطين" فأجاب بأنه مجاز كقول امرئ القيس "ومسنونة زرق كأنياب أغوال" فالعرب لم تر الغول حقيقة وهو غير موجود في الواقع لكنها تؤمن به وتتداوله في كلامها ، كذلك رؤوس الشياطين التي لا يعلم حالها إلا الله عز وجل، فهما مجاز عن الخوف والقبح والشيء الذي لا يرغب أي أحدا أن يراه أو يلاقيه

ب - أهم العلماء الذين كان لهم الفضل في وضع قواعد هذا الفن (البلاغة)

1-الإمام عبد القادر الجرجاني:

تمخض القرن الخامس هجري فولد نادرة البطن و نابغة البلغاء، وإمام حلبة الفصحاء أبا بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة 471 هـ الذي عادله الفضل في وضع القواعد الأساسية لعلمي المعاني والبيان بعد أن بدل جهدا كبيرا وأبلى بلاء حسنا في جمع مسائل هذه الفنون وإقامة بناءها على أسس معينة، ورفع دعائمها على أرض صلبة لا تنهار فقام بتدوينها في كتابين هما: (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز) ، وأحكم بنيانها بضرب الأمثلة والشواهد.

2-الإمام جار الله الزمخشري:

اتبع أثر عبد القاهر أستاذ المفسرين جار الله الزمخشري المتوفى سنة 538 هـ وألف تفسيره (الكشاف) ، نحا فيه نحو الغرض المقصود من تفسير القرآن وهو إظهار أسرارهِ وشرح وجوه إعجازه وبيان وفاء دلالاته على المراد وكشف خصائصه ومزاياه التي استأثر بها حتى بلغ هذه المرتبة التي تحدى بها البشر بأنهم لن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وأنه لن يصل إلى تلك المنزلة إلا من أتاه الله فطرة سليمة ورأيا حصيفا، وفكرا ثاقبا وبرهانا ساطعا حتى يتاح له بواضح البرهان وبديع البيان، يبين خصائص التراكيب، ولطائف الأساليب التي هي من أسرار التنزيل وبهذا أبان الزمخشري في عرض كلامه كثيرا من قواعد هذه الفنون التي اتخذها من جاء بعده دستورا للكلام في كثيرا من مسائلها.

3-أبو يعقوب يوسف السكاكي:

جاء بعد من تقدم ذكرهم العلامة أبو يعقوب يوسف السكاكي المتوفى سنة 626 هـ وألف كتابه (مفتاح العلوم) الذي جمع في قسمه الثالث زبدة ما كتبه الأئمة قبله في

هذه الفنون وأحاط بكثير من قواعدها المبعثرة ورتبها أحسن ترتيب وبوبها خير تبويب ، وفصل فنون البيان الثلاثة بعضها عن بعض لما كان له من واسع الإطلاع على علوم المنطق والفلسفة.

ولولا أن المؤلف أولع بتطبيق أساليب العرب على علوم اليونان واصطلاحاتهم مع ما بينهما من بعد الدار واختلاف البيئات وتباين المعتقدات، لكان خير كتاب أخرج للناس في هذه الفنون.

وقد اختصر مؤلفه هذا (مفتاح العلوم) في كتاب آخر سماه (التبيان) كما لخصه بعض المتأخرين في كتب مشهورة منها (المصباح) لصاحبه ابن مالك، و(تلخيص المفتاح) لصاحبه الخطيب القزويني (ت، 739 هـ) و(شرح الإيضاح) وهو مؤلف جليل لابن سنان الخفاجي جمع فيه خلاصة المفتاح ودلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة ، وسرّ الفصاحة.

4- ضياء الدين ابن الأثير:

بينما كان السكاكي يؤلف كتابه (مفتاح العلوم) إذا بالوزير ضياء الدين أبي الفتح بن محمد الموصلّي الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى سنة (637هـ) يصنف كتابه (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر) الذي اشتمل على كثير من أبواب تلك الفنون وطبق عليها كثيرا من آي القرآن والسنة النبوية وهي منقبة امتاز بها عن سائر المؤلفات.

وكان أسلوبه يحاكي أسلوب القاضي الفاضل المتوفى سنة (596 هـ) وزير صلاح الدين الأيوبي الذي كانت طريقته يغلب عليها السجع والجناس وغيرها من المحسنات اللفظية.

ومن هذا نسب لابن الأثير فضل سبقه للتقعيد لهذا الفن الثالث من فنون البلاغة ألا وهو البديع.

كان هؤلاء الأئمة وغيرهم أبرز من خاضوا معترك البيان والفصاحة والبلاغة وقعدوا لها قواعد ووضعوا لها الأسس وعللوا لها الأحكام ويمكننا أن نلخص الأسباب الدافعة لهذا فنقول:

- محاولة علماء العرب وأئمة اللغة الحفاظ على الأساليب العربية الأصلية من الاندثار ومن ثم الحفاظ على اللغة العربية.

- الرد على نظرية الصرفة لإبراهيم النظام ومحاولة دحضها.
- الكشف عن سر بلاغة القرآن وإعجازه وإبراز وإظهار خصائصه وأساليبه ومزاياه.

في حقيقة الفصاحة والبلاغة

الفصاحة لغة واصطلاحا

قد يتبادر إلى ذهن الطالب حين يتناول دروس البلاغة سؤالاً وهو: هل الفصاحة هي البلاغة؟ أم أن هناك فرق بينهما؟ وما حقيقة كل منهما؟ ولإيجاد جواب كاف شاف لهذه الأسئلة بات لزاماً علينا أن نقف عند حدود كل منهما ومعرفة مفهومهما لغة واصطلاحاً حتى يتضح الفرق ويتباين الأمر.

1- الفصاحة لغة:

للفصاحة لغة معان متعددة كلها تشف عن الظهور والإبانة:

- فصح اللين وأفصح: إذا أخذت عنه الرغوة ، قال نضلة السلمي: وتحت الرغوة اللين الفصيح، أي البين

-أفصح الصبح: وبدأ ضوءه ومنها المثل: أفصح الصبح الذي عينين

-أفصح الأعجمي بالعربية وفصح لسانه بها: إذا حلصت لغته من اللكنة.

وجاء في القرآن "وأخي هارون هو أفصح مني لساناً" ، أي أبين مني قولاً

2- الفصاحة اصطلاحاً:

هي الألفاظ البينة الظاهرة ، المتبادرة إلى الفهم ،والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حسنهما.

وهي تقع وصفا للكلمة والكلام والمتكلم.

1- فصاحة الكلمة:

تكون الكلمة فصيحة إذا سلمت من عيوب أربعة:

- أ) خلوصها من تنافر الحروف: لتكون رقيقة عذبة، تخف على اللسان ولا تتقل على السمع فكلمة: نفس أخف وأحسن من كلمة الجرشي (التي معناها النفس).
- ب) خلوها من الغرابة أي تكون مألوفة الاستعمال.
- ج) خلوها من مخالفة القياس الصرفي: أي تكون متماشية مع قوانين الصرف.
- د) خلوها من الكراهة في السمع: أي أن تستعذبها النفس ، وتحس بحسنها.

أ-تنافر الحروف:

هي صفة في الكلمة ينجم عنها ثقلها على اللسان وصعوبة النطق بها، ولا ضابط لذلك غير الذوق السليم، والشعور الذي ينشأ من مزاولة أساليب البلغاء. وسبب ذلك يرجع إلى تقارب مخارج حروفها وهو نوعان:

- **تنافر شديد في الثقل:** ككلمة: الهُعْخُع (نبات ترعاه الإبل) وهذا من قول أعرابي: تركت ناقتي ترعى الهعخع .

الطساسيج : (جمع طسوج وهي القرية)،

الظش : (الموضع الخشن عكس الناعم أو الأملس)

- **تنافر خفيف الثقل:** النقاخ : (الماء العذب البارد)، النقنقة : (صوت الضفادع) الصممع : (صغير الرأس)، مستسزرات : (مرتفعات) في قول امرئ القيس :

غدائره مستسزرات إلى العلا *** تضل المدارى في مثنى ومرسل

أي ضفائر شعرها مرتفعات إلى العلا فحينما تنزل المشط مرة تنزل بسهولة ومرة تتعطل بسبب تداخله وتشابكه وهو وصف لحال شعر المرأة في الجاهلية.

ب) الغرابة في اللفظ:

وهي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال عند خلُص العرب ولا عند المولودين لأن كثيرا مما في المعاجم غريبة عندهم. وللغرابة سببان:

أولهما: احتياجها إلى بحث وتفتيش في كتب اللغة والمعاجم لأنها لا تستعمل كثيرا ثم يجدها الباحث عنها في هذه الكتب ويفهم معناها.

مثل كلمة: مسحنفرة : (متسعة) ، البعاق : (المطر) ، جردحل : (الوادي)

ثانيهما: احتياجها إلى التخريج على وجه بعيد حتى يفهم منها المعنى المقصود أي أن اللفظة الواحدة قد تحمل عدة معاني ينبغي تحديد المعنى المقصود مثل كلمة: مسرّج في قول رؤبة بن العجاج : في وصف الأنف.

ومقلة وحاجبًا مزجبًا *** وفاحمًا ومرسنا مسرجًا

والمرسن هو الأنف، المقلة: هي مقلة العين، الفاحم هو الكحل. فاختلف أئمة اللغة في تفسير كلمة مسرجا.

فابن دريد صاحب معجم (الجمهرة) يرى بأنها منسوبة إلى حداد يصنع السيوف يسمى مسيرج كان يتقن صناعة السيوف بكل دقة واستواء فتسمى سيوفه سريجية نسبة له.

أما ابن سيده صاحب (المحکم): فهو يرى أنها من السراج أي أن الأنف يشبه السراج في البريق واللمعان .. وهذا قريب من قولهم سرج الله وجهك (بالكسر) أي حسن، سرج الله وجهك أي بهجه وحسنه.

فمن أجل إزالة هذا اللبس والاختلاف في المعنى لأبد من وضع قرينة تدل أو تشير إلى المعنى المقصود كما في كلمة (عزّروه) التي تحمل معنيين التعزير وهو التعظيم أو الإهانة وهما معنيين متضادين فالقرينة تزيل اللبس مثل قوله تعالى "فالذين آمنوا معه وعزّروه ونصروه" فكلمة نصروه تدل على أن معنى عزّروه أي عظموه وليس أهانوه لأن الإهانة لا تستقيم مع النصرة.

(ج) مخالفة القياس:

وهو كون الكلمة غير جارية على القانون الصرفي المستتبط من كلام العرب كجمع كلمة ناكس على نواكس ، فجمعها : نُكّس أو ناكسون.

وهذا في قول الفرزدق:

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم *** خضع الرقاب نواكس الأبصار

- أو كفف الإدغام في كلمة أجمل في قول أبي النجم بن قدامة
الحمد لله العلي الأجل *** أنت ملك الناس ربا فاقبل

- أو كاستعمال همزة القطع بدلا من همزة الوصل أو العكس: في قول جميل :
ألا لا أرى أثنين أحسن شيمة *** على حدثان الدهر مني من جمل

د) الكراهة في السمع:

وهي أن تكون الكلمة وحشية نوعا ما ، تمجها الأسماع أي لا تحبذها ولا تأنفها
الطباع لغلظتها مثل كلمة الجرشي بمعنى النفس في قول المتنبي في وصف سيف
الدولة:

مبارك الاسم أغر اللقب *** كريم الجرشي شريف النسب

تطبيق:

بين ما أخل بفصاحة الكلمات التي هي بين قوسين:
قال المتنبي في وصف سيف الدولة:
وما أَرْضَى لمقلته بحلم *** إذا انتبعت توهمه (ابتشاكاً)
يا نفس صبرا كل حي لاق *** وكل (اثنين) إلى افتراق
فلا يبرم الأمر الذي هو (حائل) *** ولا (يحلل) الأمر هو يبرم
أن بني للنّام زهده *** ما لي في صدورهم من (موددة)
الإبتشاك هو الكذب أو الحلم الكاذب

الجواب:

الكلمة	الحكم	السبب
ابتشاكاً	غريبة	قلة الإستعمال
أثنين	مخالف للقياس	إذ جعل همزة الوصل بدلاً من همزة القطع.
حائل	مخالف للقياس	فك الإدغام إذ الواجب الإدغام (حال)
يحلل	مخالف للقياس	فك الإدغام إذ الواجب الإدغام (يحل)
موددة	مخالف للقياس	فك الإدغام إذ الواجب الإدغام (مودة)

تمرين:

بين ما أخل بفصاحة الكلمات التي بين قوسين

- كتب أحد أمراء بغداد رقعة وطرحها في المسجد الجامع حين مرضت أمه قال فيها: صين أمروء ورعى ودعا لامرأة (انقلعة) (مقسنة) قد منيت بأكل (الظرموق) فأصابها من أجله (الإستمصال) أن يمن الله عليها (بالإطرغشاش) و (الابرغشاش).

- قال ابن نباتة في خطبة له: يذكر أهوال يوم القيامة.

(اقمطر) وبالحا واشمخر نكالها فلا ساغت ولا طابت.

اقمطر: اشتد، اشمخر: طال

يوم (عصبص) (الشديد) وهلوف ملأ السجسج طلا.

هلوف: الذي يستر غمامه شمس.

السجسج: الأرض السهلة.

الطل: المطر.

2- فصاحة الكلام:

تكون فصاحة الكلام بسلامته من كل ما يتعلق بمعناه ويوضح مغزاه وذلك إذا خلا من العيوب الأربعة الآتية:

(أ) تنافر الكلمات مجتمعة ويدخل فيه كثرة التكرار وتتابع الإضافات.

(ب) ضعف التأليف.

(ج) التعقيد اللفظي.

(د) التعقيد المعنوي.

1) تنافر الكلمات مجتمعة (المعاضلة)

وهو وصف يعرض للكلمات مجتمعة فيوجب ثقلها واضطراب اللسان عند النطق بها وقد تبين بالإستقراء أن سبب ذلك:

إما تكرير حرف أو حرفين من كلمة في المنثور والمنظوم وهو قسمان:

1- ما اشتد ثقله وتناهى : مثل قول الجاحظ.

وقبر حرب بمكان فقر *** وليس قرب قبر حرب قبر

فلاحظ أن قافاته وراءاته قفلة نابية أي التناوب وكأنها سلسلة تتبرأ بعض حلقاتها من بعض

2- ما كان فيه بعض الثقل : كقول أبي تمام.

كريم متى أمدحه وأمدحه والورى *** معى إذا ما لمته لمته وحدي

فتكرار الحاء والهاء المتقاربتين المخرج في بيت أبي تمام أوجب الثقل الخفيف فيها.

وإما إيراد أفعال يتبع بعضها بعضا دون عطف سواء اختلفت بين الماضي والمستقبل أو اتفقت في ذلك مثل قول القاضي الأرجاني يتحدث عن الشمع

بالنار فرقت الحوادث بيننا *** وبها نذرت أعود أقتل نفسي

فتلاحظ تتابع الأفعال، نذرت ، أعود ، أقتل : فهي بين الماضي والإستقبال وأما إيراد صفات متعددة على طريق واحدة: مثل قول المتنبي

دان بعيد محب مبغض بهج *** أغر حلو مر لين شرس

وهي مدح سيف الدولة فإنك تلاحظ تعاقب الصفات المتناقضة بين القرب والبعد والحب والبغض والابتهاج والشراسة والحلاوة والمرارة....

وإما تعاقب الأدوات والحروف مثل قول أبي تمام:

كانه في اجتماع الروح فيه له *** في كل جارحة من جسمه روح

أي حينما تنهض العزيمة في داخله كأنها عزائم عديدة نهضت من كل عضو من أعضاء جسمه أي لكل عضو عزيمة خاصة وهذا للتعبير عن شدة العزم عنده فترى تتابع الأدوات : كأنه ، في ، فيه ، له ، في كل.

كما في قول المتنبي يصف فرسا:

وتسعدني في غمرة بعد غمرة *** سبوح لها عنها عليها شواهد

تلاحظ تتابع الأدوات: لها ، منها ، عليها.

(2) ضعف التأليف :

وهو أن يكون تأليف الكلام مخالفا لما اشتهر من قوانين النحو المشهورة كوصل الضميرين أو تقديم غيره الأعراف على الأعراف....

قال المتنبي:

خلت البلاد من الغزاة ليلها *** فاعضلهاك الله كي لا تحزنا

أي فعوضك الله عن الشمس قمرا منيرا ينير لك الطريق.

أو كحذف النون من يكن في الجزم حين يليها ساكن:

لم يك الحق سوى أن هاجه *** رسم دار قد تعفت بالمرر

فالحق ثاره آثار الدار التي اضمحلت بالمرور وهو اسم مكان.

التعقيد:

وهو أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد ولهذا سببان: أحدهما يرجع إلى خلل في النظم والتركييب وهو التعقيد اللفظي وثانيهما يرجع إلى المعنى وهو التعقيد المعنوي.

(3) التعقيد اللفظي:

وهو أن تكون الألفاظ مرتبة على غير ترتيب المعاني، فيفسد نظام الكلام وتأليفه بسبب ما يحصل فيه من تقديم وتأخير ونحو ذلك كتقديم الصفة على الموصوف، أو الصلة على الموصول.

وهو مذموم مرفوض عن أهل البيان لأنه يوجب اختلاف المعنى واضطرابه وهذا ضد الفصاحة التي هي الظهور والإبانة.

مثل قول الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مملكا *** أبو أمه حتى أبوه يقاربه.

ومعناه: وما مثل هذا الممدوح في الناس حي يقاربه ويشبهه في الفضائل إلا مملكا أبو أم ذلك المملك أبو الممدوح، فيكون خال المملك. أي لا يماثله إلا ابن أخته.

فتعقد فهم المعنى بسبب هذا التقديم والتأخير. فأبو أمه أبوه. معناها خاله.

مثال آخر:

فأصبحت بعد خط بهجتها *** كأن قفرا رسوما قلما

أي أصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسوما.

(4) التعقيد المعنوي:

هو خفاء دلالة الكلام على المعنى المراد من أجل ما عاقها من اللوازم البعيدة والكنيات المفترقة إلى الوسائط أو اللوازم القريبة الخفية العلاقة، مع عدم ظهور القرائن الدالة على المقصود فيعجز الكلام عن أداء المعنى. كقول العباس ابن الأحنف:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا *** وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

يريد أن يتحمل الفراق وآلامه ويوطن النفس على الحزن والأسى عله يحضى
بوصل يدوم وسرور لا ينقطع، فلطالما نال الصابرون أمانهم وفرجت كروبهم.

3- فصاحة المتكلم:

هي صفة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التعبير عما يجول في خاطره
من الأغراض والمقاصد.

وبتلك الصفة يتمكن من صياغة ضروب الكلام من مدح وهجاء وتهاني ومرائي
وخطب معبرة ورسائل منمقة في الوعظ والإرشاد والمفاخرات والمنافرات .

ولن يبلغ شاعر أو ناثر هذه المنزلة إلا إذا كان ملما باللغة كثير الإطلاع على
كتب الأدب، محيطا بأسرار أساليب العرب، حافظا لعيون كلامهم من شعر جيد
وأثر مختار، عالما بأحوال الشعراء والخطباء، ومجالس الملوك والأمراء، محيطا
بعادات العرب وأخبار أيامهم.

تطبيق:

- 1- تعال فإن عاهدتني لا تخونني *** نكن مثل من ياذئب يصطحبان
- 2- لما رأى طالبوه مصعبا ذعروا *** وكاد لو ساعد المقدور ينتصر
- 3- لو كنت كنت كتمت السر كنت كما *** كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن
- 4- لما عصى أصحابه مصعبا *** أدوا إليه الكيل كيلا بصاع
- 5- ولم أر مثل جيراني ومثلي *** لمثلي عند مثلهم مقام

الجواب:

- 1- في البيت تعقيد لفظي إذ تقديره نكن يا ذئب مثل من يصطحبان.
- 2- فيه ضعف التأليف: لأن الضمير في طالبوه يعود إلى مصعب وهو متأخر في
الذكر لفظا ومرتبة
- 3- فيه تنافر في الكلمات مجتمعة أوجه تكرار لفظ كنت عدة مرات
- 4- فيه ضعف التأليف: لأن الضمير في اصحابه يعود إلى مصعب المتأخر لفظا
ومرتبة

5- فيه تناظر في الكلمات سببه تكرار لفظ مثل

تطبيق (2) :يرجى حله

اذكر ما أخل بفصاحة الكلام في ما يلي:

- 1- ولذا اسم اعطيه العيون جفونها *** من أنها عمل السيوف عوامل.
- 2- تجمعت في فوائدهم همم *** ملئ فوائد الزمان أحدهما.
- 3- ألا ليت شعري هل يلومن قومه *** زهيراً على ما جر من ظل جانب.
- 4- قبيل أنت أنت أو كنت منهم *** وجدك بشر الملك المهام.
- 5- جواب المسائل أنه نظير *** ولالك في سؤالك إلا لا لا.

في حقيقة البلاغة :

البلاغة لغة:

يقال بلغت الغاية: إذا انتهيت إليها، ومبلغ الشيء منتهاه، ورجل بليغ وبلغ: حسن الكلام يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، وبلغ (بالضم) بلاغة أي صار بليغاً. وتبالغ في كلامه أي تعاطى البلاغة في كلامه وليس ببليغ، وتبالغ به الفرح والحزن أي تناهى به أي بلغ الذروة فيه.

البلاغة اصطلاحاً:

فالبلغاء في ذلك فريقان:

الفريق الأول: وهم المتقدمون كالإمام عبد القاهر الجرجاني ومن شاكله هؤلاء يرون أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات إنما يوصف بها الكلام بعد توخي معاني النحو أي مراعاة قواعد النحو فيما بين الكلم بحسب الأغراض التي يصاغ لها.

قال أبو هلال العسكري: في (الصناعتين): الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف اصطلاحهما لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له

وذكر الفخر الرازي في (نهاية الإيجاز) وأكثر البلغاء لا يكونون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونها استعمال الشئيين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما.

ويؤكد هذا قول الجوهرى في الصحاح: الفصاحة: البلاغة.

ومرجع هذا الرأي النظم والكلام لا ألفاظ مجردة وكلمات مفردة.

الفريق الثاني: وهم المتأخرون: كأبي يعقوب السكاكي وابن الأثير ومن حدا حدوهما وهم يرون اخراج الفصاحة من كنف البلاغة وجعلها إسما لما كان بمنأى من تنافر الحروف وغرابة الألفاظ ومخالفة القياس ويجعلون البلاغة إسما لها طابق مقتضى الحال من الفصاحة أي:

مطابقة الكلام لما يقتضيه الحال مع فصاحة الكلام.

ومن هذا فالبلاغة أعلى من الفصاحة إذ أن البلاغة كلٌ والفصاحة جزء منه فتقع البلاغة وصفا للكلام والمتكلم دون الكلمات بينما الفصاحة تقع وصفا للكلمة والكلام والمتكلم.

وإلى هذا أشار صاحب الصناعتين أبو هلال العسكري إذ يقول:

الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ لأن الآلة تتعلق باللفظ والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى.

1) بلاغة الكلام:

البلاغة في الكلام هي مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها أي حينما تكون في جمل.

إذ أن الكلام البليغ هو الذي يصوره المتكلم بصورة تناسب أحوال المخاطبين وحال المخاطب: يسمى (المقام): وهو الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة دون غيرها

والمقتضى ويسمى (الإعتبار المناسب): وهو الصورة المخصوصة التي ترد عليها العبارة مثل: المدح هو حال يدعو لايراد العبارة على صورة الإطناب ونكاه المخاطب حال يدعو إلى ايراد العبارة على صورة الأيجاز.

إذ أن الذكي لا يحتاج إلى التفصيل والتوضيح بل الإيجاز والإختصار.

فالممدح والذكاء = حال أو مقام

والإطناب والإيجاز = مقتضى

وايراد الكلام على صورة الإطناب والأيجاز = مطابقة للمقتضى

إذن فالأمر الذي يحمل المتكلم على أيراد كلامه في صورة دون أخرى يسمى (حالا) أو (مقاما) وإلقاء الكلام على هذه الصورة التي اقتضاها الحال يسمى مقتضى والبلاغة هي مطابقة الكلام الفصيح لما يقتضيه الحال.

ولكن البلاغة لا تقف عند هذا الحد بل تتعداه إلى ايجاد اساليب مناسبة للتأليف بين المعاني والألفاظ مما يكسبها قوة وجمالا.

أقوال أهل البيان في البلاغة:

*قال قدامة البلاغة ثلاثة مذاهب:

المساواة: وهي مطابقة اللفظ والمعنى لا زائد ولا ناقص

الإشارة: وهي أن يكون اللفظ كاللمحة الدالة

التذييل: وهي اعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد ليظهر لمن لم يفهمه ويتأكد لمن فهمه.

*وقال المفضل: قلت لأعرابي: ما البلاغة؟ قال: الإيجاز في غير عجز الأطناب في غير خطل. (أي ملل).

وسأل معاوية صحار العبدى: ما البلاغة؟ قال: أن تجيب فلا تبطئ وتصيب فلا تخطئ.

*وقيل لجعفر بن يحيى ما البيان؟ فقال: أن يكون اللفظ محيطا بمعناك كاشفا عن مغزاك وتخرجه من الشركة، ولا تستغنى عليه بطول الفكرة ويكون سالما من التكلف بعيدا من سوء الصنعة، بريئا من التعقيد غنيا عن التأمل.

(2) بلاغة المتكلم:

بلاغة المتكلم هي ملكة في النفس يقدر بها صاحبها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال، ومع فصاحته في أي معنى قصده.

وتلك غاية لن يصل إليها إلا من أحاط بأساليب العرب خبرا وعرف سنن تخاطبهم في منافراتهم ومفاخراتهم ومديحهم وهجائهم وشكرهم واعتذارهم ليلبس لكل حالة لبوسها ولكل مقام مقال.

وعلم البلاغة علم غزير وكبيرة وتشعب ملفتحيث قسمه العلماء إلى ثلاثة علوم هي:

علم البيان، وعلم المعاني، وعلم البديع وسنتطرق لكل هذه العلوم بالتعريف والأمثلة في السلسلة الموالية من الدروس بإذن الله تعالى.

علم البيان

البيان لغة: الكشف والإيضاح والظهور، ويقال: فلان أبين من فلان أي: أوضح منه كلاما.

أما اصطلاحا: أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة العقلية على نفس ذلك المعنى، أي أنه علم يستطاع بمعرفته إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة وتراكيب متفاوتة في وضوح الدلالة مع مطابقة كل منهما مقتضى الحال.

فالمعنى الواحد يمكن أدائه بأساليب مختلفة في وضوح الدلالة عليه ومثال ذلك: فإنك تقرأ في بيان فضل العلم مثل قول الشاعر:

العلم ينهض بالخشيس إلى العلا *** والجهل يقعد بالفتى المنسوب

ويأتيك المعنى نفسه في فضل العلم: العلم نور والجهل ظلام

وكذلك في قول علي كرم الله وجهه: " العلم نهر والحكمة بحر والعلماء حول النهر يطوفون، والحكماء وسط البحر يغوصون، والعارفون في سفن النجاة يسرون ".

فتجد أن بعض هذه التراكيب أوضح من بعض ، فتراه يضع أمام عينيك مشهدا حسيا يقرب إلى فهمك ما يريد الكلام عنه من فضل العلم.

فشبه العلم بالنهر والعلماء يطوفون حوله ، والحكمة بالبحر والحكماء يغوصون فيه ، والعارفون كأنهم أناس يركبون سفن النجاة في هذا البحر يسرون.

فهذا المشهد الرائع البديع يستوقف نظرك، ويثير إعجابك من شدة الروعة والجمال المستمد من التشبيه بفضل البيان الذي هو سر البلاغة.

التشبيه

تمهيد:

للتشبيه روعة وجمال وموقع حسن في البلاغة ، وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدناؤه البعيد من القريب، ويزيد المعاني رفعة ووضوحا، ويكسبها جمالا وفضلا، ويكسوها شرفا ونبلا، فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتد الحواشي، متشعب الأطراف، متوعر المسالك، غامض المدرك، دقيق الجرى، غزير الجدوى.

وهو من أساليب البيان ، ألا ترى أنك إذا أردت إثبات صفة لموصوف، مع التوضيح أو وجه من المبالغة، عمدت إلى شيء آخر تكون هذه الصفة واضحة فيه، عقدت بين الإثنين مماثلة، تجعلها وسيلة لتوضيح الصفة، أو المبالغة في اثباتها، لهذا كان التشبيه أول طريقة تدل عليها الطبيعة لبيان المعنى.

تعريف التشبيه وبيان أركانه الأربعة:

التشبيه لغة: التمثيل، يقال هذا شبه هذا ومثيله والتشبيه اصطلاحا عقد مماثل بين أمرين أو أكثر، قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة لغرض يقصده المتكلم.

وأركان التشبيه أربعة:

1) المشبه: وهو الأمر الذي يراد إلحاقه بغيره.

2) المشبه به: هو الأمر الذي يلحق به المشبه.

هذان الركنان يسميان طرفي التشبيه

3) وجه الشبه: هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به أقوى منه في المشبه. وقد يذكر

وجه الشبه في الكلام، وقد يحذف كما سيأتي توضيحه.

4) أداة التشبيه: هي اللفظ الذي يدل على التشبيه ويربط المشبه بالمشبه به. وقد تذكر الأداة في

التشبيه وقد تحذف، نحو: كان في رعيته كالميزان في العدل، وكان فيهم كالوالد في الرحمة والعطف.

تمرين:

استخرج التشبيه وبين أركانه الأربعة مما يلي:

أنت كالوردة لمسا وشذا جادها الغيث على غصن نضر

إنما الناس كالسوائم في الرزق سواء جهولهم والعليم

أنت مثل الغصن لنا وشبيه البدر حسنا

لك شعر مثل حضي في سواد قد تشني

أنت عندي كليلة القدر في القدر ولكن لا تستجيب دعائي

في تقسيم طرفي التشبيه إلى حسي وعقلي:

طرفا التشبيه: المشبه والمشبه به.

- 1) إما حسيان، أو مدركان بإحدى الحواس الخمس الظاهرة ، نحو: أنت كالشمس في الضياء ، وكذلك في تشبيه الخد بالورد.
- وإما عقليان، أي مدركان بالعقل، نحو: العلم كالحياة و الظلال عن الحق كالعمى و الجهل كالموت.
- 2) وإما المشبه حسي والمشبه به عقلي نحو: طيب السوء كالموت.
- 3) وإما المشبه عقلي، والمشبه به حسي نحو: العلم كالنور.

واعلم أن العقلي هو ما عدا الحسي، فيشمل المحقق ذهنًا، كالرأي، والخلق، والحظ، والأمل ، والعلم، والذكاء، والشجاعة، ويشمل أيضا الوهمي: وهو ما لا وجود له ولا لأجزائه كلها، أو بعضها في الخارج ولو وجد لكان مدركا بإحدى الحواس كالغول فلا وجود له في الواقع ولا لأجزائه ولكنه موجود في ذهن العرب.

ويشمل الوجداني وهو ما يدرك بالقوى الباطنة كالغم والفرح والشبع والجوع، والعطش، والري.

في تقسيم طرفي التشبيه باعتبار الأفراد، والتركيب:

طرفا التشبيه، المشبه والمشبه به:

- إما مفردان مطلقان نحو: ضوءه كالشمس، خده كالورد، أو مقيدان نحو الساعي بغير طائل كالراقم على الماء.

- أو مختلفان نحو: ثغره كاللؤلؤ المنظوم ، ثغره مطلق بينما اللؤلؤ مقيد بالنظم أي يجب أن يكون اللؤلؤ منظوم أي مرتب ونحو: العين الزرقاء كالسنان، والمشبه هو المقيد أي الأمر يخص العين الزرقاء فقط.

- وإما مركبان تركيبيا لم يمكن إفراد أجزائهما، بحيث يكون المركب هيئة حاصلة من شيئين أو من أشياء، تلاصقت حتى أعتبرها المتكلم شيئا واحدا، وإذا انتزع الوجه عن بعضهما دون بعض، اختل قصد المتكلم من التشبيه، كقوله:

كأن سهيلا والنجوم وراءه صفوف صلاة قام فيها إمامها

إذ لو قيل: كأن سهيلا إمام، وكأن النجوم صفوف صلاة، لذهبت فائدة التشبيه. أو مركبان تركيبيا إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة "المشبه به" كما ترى في قول الشاعر الآتي، حيث شبه النجوم اللامعة في كبد السماء بدر منتشر على بساط أزرق:

وكأن أجرام النجوم لوامعا ذرر نثرن على بساط أزرق

إذ لو قيل: كأن النجوم ذرر، وكأن السماء بساط أزرق، كان التشبيه مقبولا، ولكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به أي زال تشبيهه بمنظر الصورة المتركب من اجتماع النجوم مع السماء والبساط مع الذرر.

- وإما مفرد بمركب، كقول الخنساء:

أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم على رأسه نار

- وإما مركب بمفرد، نحو: الماء المالح كالسم.

في تقسيم طرفي التشبيه باعتبار تعددهما

ينقسم طرفا التشبيه "المشبه والمشبه به" باعتبار تعددهما، أو تعدد إحدهما إلى أربعة أقسام:

ملفوف ومفروق وتسوية وجمع.

1) التشبيه الملفوف: هو جمع كل طرف منهما مع مثله كجمع المشبه مع المشبه، والمشبه به مع المشبه به، بحيث يؤتى بالمشبهات معا على طريق العطف، أو غيره ثم يؤتى بالمشبهات بها كذلك. كقوله:

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد

فشبه الشعر بالليل في سواده ، وشبه الوجه بالبدر في الوضاعة ، وشبه القد بالغصن في الاستقامة

خمر وذر وورد ريق وثغر وخذ

وشبه الريق بالخمير في لذته ، وشبه الثغر بالذر في الابتسامة ، وشبه الخد بالورد في الاحمرار

وكقوله:

تبسم وقطوب في ندى ووعى كالغيث والبرد تحت العارض البرد

وكقوله:

وضوء الشهب فوق الليل باد كأطراف الأسنة في الدروع

(2) والتشبيه المفروق: هو جمع كل مشبه مع ماشبه به، كقوله:

النثر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم

(3) وتشبيه التسوية: هو أن يتعدد المشبه دون المشبه به، كقوله:

صدع الحبيب وحالي كلاهما كالليالي

شبه ما يعانیه الأحبة من هموم وما يعانیه هو بالليل في سواده ، أي جمع بين حال الحبيب وحاله

وشبههما بالليل في سواده

وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي

وشبه صفاء ثغره في الابتسامة وصفاء دموعه كصفاء اللآليء والمجوهرات

فسمي بذلك للتسوية فيه بين المشبهات.

(4) وتشبيه الجمع: هو أن يتعدد المشبه به دون المشبه، كقوله:

كأنما يبتسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

فشبهه ابتسامته بظهور أسنانه بثلاثة أشياء اللؤلؤ المنظم أو حبات البرد أو الأقاح وهو جمع أقحوان وهي زهرة تكون ورودها منتظمة .

تمرين:

أذكر أحوال طرفي التشبيه في ما يأتي:

- علم لا ينفع كدواء لا ينجع.

- الصديق المنافق والابن الجاهل كلاهما كجمر الغضا.

- الحق سيف على أهل الباطل.

- الحمية من الأنام كالحمية من الطعام.

- قال محمد بن لنكك البصري:

قضى الأمراء وانقرضوا وبادوا وخلفني الزمان على علوج

وقالوا: قد لزمت البيت جدا فقلت: لفقد فائدة الخروج

فمن ألقى إذا أبصرت فيهم ودار البين في أعلى السروج

زمان عز فيه الجود حتى كأن الجود في أعلى البروج

مراجعة عامة في تقسيم طرفي التشبيه:

أولاً: ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى حسيين وعقليين ومختلفين، فالحسيان يشتركان:

1) في صفة مبصرة كتشبيه المرأة بالنهار في الإشراق، والشعر بالليل في الظلمة والسواد، كما في قول

الشاعر:

فرعاء تسحب من قيام شعرها وتغيب وهو ليل أسحم

فكأنما فيه نهار مشرق وكأنه ليل عليها مظلم

(2) أو في صفة مسموعة، نحو: غرد تغريد الطيور. ونحو: سجع سجع القمري، ونحو: أن أنين الثكلى، ونحو: أسمع دويا كدوي النحل، وكتشبيه إنقاض الرحل بصوت الفراريج في قول الشاعر:

وكان الأصوات من أيغالهن بنا وأواخر الميس إنقضاض الفراريج

وكتشبيه الأصوات الحسنة في قراءة القرآن الكريم بالمزامير.

(3) أو في صفة مذوقة، كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل، وكتشبيه الريق بالخمير في قول الشاعر:

كان المدام وصبوب الغمام وريح الخزامى وذوب العسل

(4) أو في صفة ملموسة، كتشبيه الجسم بالحرير في قول ذي الرمة:

لها بشر مثل الحرير ومنطق رقيم الحواشي لا هراء ولا نزر

وعينان قال الله: كونا فكانتا فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

(5) أو في صفة مشمومة، كتشبيه الريحان بالمسك، والنكهة بالعنبر.

والعقليان: هما اللذان لم يدركا، هما ولا مادتهما بأحدى الحواس وذلك كتشبيه السفر بالعذاب، والظلال عن الحق بالعمى، والإهتداء إلى الخير بالإبصار.

والمختلفان: إما أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا، كتشبيه الغضب بالنار من التلضي والإشتعال، وكتشبيه الرأي بالليل كقول الشاعر:

الرأي كالليل مسود جوانبه والليل لا ينجلي إلا بإصباح

وإما أن يكون المشبه حسيا والمشبه به عقليا، كتشبيه الكلام بالخلق الحسن، وكتشبيه العطر بالخلق الكريم في قول الصاحب بن عباد:

أهديت عطرا مثل طيب ثنائه فكأنما أهدي له أخلاقه

ثانياً: ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى مفردين مطلقين، أو مقيدتين أو مختلفين، وإلى مركبين أو مختلفين.

فالمفردان المطلقان كتشبيه السماء بالدهان في الحمرة، في قوله تعالى: "فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان" الرحمان : 37

وكتشبيه الكشح:(بين الخاصرة والأضلع) بالجديل:(حبل يوضع في عنق البعير)، والساق بالأنبوب، في قول امرئ القيس:

وكشخ لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المذل

والمقيدان بوصف، أو إضافة، أو حال، أو ظرف، أو نحو ذلك كقولهم فيمن لا يحصل من سعيه على فائدة: هو "كالراقم على الماء". فالمشبه هو الساعي على هذه الصفة، والمشبه به هو الراقم بهذا القيد. ووجه الشبه التسوية بين الفعل والترك في الفائدة وكقوله:

والشمس من بين الأرائك قد حكت سيفاً صقيلاً في يد رعشاء

والمختلفان والمشبه به هو القيد، كما في قول ذو الرمة:

قف العيس في أطلال مية فاسأل رسوماً كأخلاق الرداء المسلسل

أو المشبه هو المقيد كما في قول الشاعر:

كأن فجاج الأرض وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل

والمركبان كقول الشاعر:

البدر منتقب بغيماً أبيض هو فيه بين تفجر وتبلج

كتنفس الحسنة في المرأة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج

والمختلفان والمشبه المفرد، كقوله تعالى "مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف" (ابراهيم 18) وكقول الشاعرة الخنساء :

أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

أو المشبه به مفرد كقول أبي الطيب المتنبي:

تشرق أعراضهم وأوجههم كأنها في نفوسهم شيم

شبه اشراق الأعراض والوجوه بإشراق الشيم (الأخلاق الطيبة) فإشراق الوجوه ببياضها وإشراق الأعراض بشرفها وطيبها.

ثالثا: التشبيه ينقسم باعتبار طرفيه إلى:

1) ملفوف: وهو ما أتى فيه بالمشبهات أولا عن طريق العطف، أو غيره، ثم بالمشبهات بها كذلك. كقول الشاعر:

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد

خمر وذر وورد ريق وثغر وخذ

شبه الليل بالشعر والبدر بالوجه والغصن بالقد في البيت الأول والخمر بالريق والدر بالثغر والورد بالخد في البيت الثاني وقد ذكر المشبهات أولا والمشبهات بها ثانيا كما ترى في نظم الشاعر.

2) وإلى مفروق وهو ما أتى فيه بمشبهه ومشبه به ثم بآخر وآخر كقول أبي نواس:

ييكى فيدري الدر من نرجس ويمسح الورد بعناب

شبه الدمع بالدر لصفائه والعين بالنرجس، لما فيه من اجتماع السواد بالبياض، والوجه بالورد.

رابعا: ينقسم التشبيه أيضا باعتبار طرفيه إلى:

1) تشبيه التسوية: وهو ما تعدد فيه المشبه، كقول الشاعر:

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي

وثغره في صفاء وأدمعي كاللآلي

شبه في الأول صدغ الحبيب وحاله هو باليالي في السواد. وفي الثاني شبه ثغر الحبيب ودموعه، بالآلئ في القدر والإشراق.

(2) تشبيه الجمع: وهو ما تعدد فيه المشبه به كقول البحري:

بات نديما لي حتى الصباح أعيد مجدول مكان الوشاح

كأنما بيتسم لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

شبه ثغره بثلاثة أشياء: باللؤلؤ والبرد والأقاح وقد تقدم الكلام على هذه الأقسام.

في تقسيم التشبيه باعتبار وجه الشبه:

وجه الشبه: هو الوصف الخاص الذي يقصد اشتراك الطرفين كالكرم في نحو: خليل كحاتم، ونحو: له سيرة كالمسك، وأخلاقه كالعنبر.

واشتراك الطرفين قد يكون ادعائيا بتنزيل التضاد منزلة التناسب، وابرار الخسيس في صورة الشريف تهكما أو تلميحاً. ويظهر ذلك في المقام.

وينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى:

(1) تشبيه تمثيل: وهو ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزعا من متعدد، حسياً كان أو غير حسياً، كقوله:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يوافي تمام الشهر ثم يغيب

فوجه الشبه سرعة الفناء، انتزعه الشاعر من أحوال القمر المتعددة، إذ يبدو هلالاً، فيصير بدراً ثم ينقص حتى يدركه المحاق ويسمى تشبيه التمثيل.

2) وتشبيه غير تمثيل: وهو ما لم يكن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، نحو: وجهه كالبدن، وكقول الشاعر:

لا تطلبن بألة لك رتبة قلم البليغ بغير خط مغزل

فوجه الشبه قلة الفائدة وليس منتزعا من متعدد.

3) ومفصل: وهو ما ذكر فيه وجه الشبه، أو ملزومه، نحو: "طبع فريد كالنسيم رقة، ويده كالبحر جودا، وكلامه كالذر حسنا، وألفاظه كالعسل حلاوة" وكقول ابن الرومي:

يا شبيهه البدن حسنا وضياء ومنا لا وشبيهه الغصن لينا وقواما واعتدالا

4) ومجمل: وهو ما لا يذكر فيه وجه الشبه، ولا ما يستلزمه، نحو: النحو في الكلام كالملاح في الطعام. فوجه الشبه هو الإصلاح في الأكل، وكقوله:

إنما الدنيا كبيت نسجه من عنكبوت

واعلم أن وجه الشبه المجمل إما أن يكون خفيا وإما أن يكون ظاهرا ومنها ما وصف فيه أحد الطرفين أو كلاهما بوصف يشعر بوجه الشبه. ومنه ما ليس كذلك.

5) وقريب مبتدل: وهو ما كان ظاهر الوجه ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به، من غير احتياج إلى شدة نظر وتأمل، لظهور وجهه بادئ الرأي وذلك لكون وجهه لا تفصيل فيه، كتشبيه الخد بالورد في الحمرة، أو لكون وجهه قليل التفصيل، كتشبيه الوجه بالبدن، في الإشراق أو الإستدارة، والعيون بالترجس.

وقد يتصرف في القريب بما يخرج من ابتدال إلى الغرابة، كقول الشاعر:

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا إلا بوجه ليس فيه حياء

فإن تشبيه الوجه الحسن بالشمس مبتدل ولكن حديث الحياء أخرجه إلى الغرابة.

وقد يخرج وجه الشبه من الإبتدال إلى الغرابة، وذلك بالجمع بين عدة تشبيهات، كقول الشاعر:

كأنما ييسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح

أو باستعمال شرط، كقوله:

عزماته مثل النجوم ثواقب لو لم يكن للثاقبات أفول

6) وبعيد وغريب: وهو ما أحتاج إلى الانتقال من المشبه إلى المشبه به، إلى فكر وتدقيق نظر، لخنفاء وجهه بادئ الرأي، كقوله:

والشمس كالمرآة في كف الأشل

فإن الوجه فيه هو الهيئة الحاصلة على الإستدارة مع الإشراق والحركة السريعة المتصلة مع تموج الإشراق، حتى ترى الشعاع كأنه يهيم بأنه ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة، ثم يبدو له فيرجع إلى الإنقباض.

وحكم وجه الشبه أن يكون في المشبه به أقوى من في المشبه، وإلا فلا فائدة من التشبيه.

تمرين:

بين أركان التشبيه وأقسام كل منها فيما يلي:

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جدوة نار

والدهر يقرعني طورا وأقرعه كأنه جبل يهوي إلى جبل

فإن أغش قوما بعده أو أزورهم فكالوحش يدينها من الأنس المحل

الشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب

تشبيه التمثيل

تشبيه التمثيل: أبلغ من غيره، لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان فكر، وتدقيق نظر. وهو أعظم أثر في المعاني، يرفع قدرها ويضاعف قواها من تحريك النفوس لها. فإن كان مدحا كان أوقع، أو ذما كان أوجع، أو برهانا كان أسطع، ومن ثم يحتاج إلى كد الذهن في فهمه، لاستخراج الصورة المنتزعة من أمور متعددة، حسية كانت أو غير حسية، لتكون (وجه الشبه)، كقول الشاعر:

ولاحت الشمس تحكي عن مطلعها مرآة تبر بدت في كف مرتعش

فمثل الشمس، حين تطلع حمراء لامعة مضطربة، بمرآة من ذهب تضطرب في كف ترتعش. وتشبيه التمثيل نوعان:

الأول: ما كان ظاهر الأداة، نحو: "ومثل الذين حملوا الثوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا" (الجمعة 5) فالمشبه هم الذين حملوا الثوراة ولم يعقلوا ما بها، والمشبه به الحمار الذي يحمل الكتب النافعة، دون استفادة منها، والأداة الكاف، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من التعب من حمل نافع دون فائدة.

الثاني: ما كان خفي الأداة، كقولك للذي يتردد في الشيء بين أن يفعله أو لا يفعله: "أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى" إذ الأصل: أراك في ترددك مثل من يقدم رجلا مرة، ثم يؤخرها مرة أخرى.

فالأداة محذوفة، ووجه الشبه هيئة الإقدام والإحجام المصحوبين بالشك.

مواقع تشبيه التمثيل

لتشبيه التمثيل موقعان:

1) أن يكون في مفتاح الكلام، فيكون قياسا موضحا، وبرهانا مصاحبا، وهو كثير جدا في القرآن، نحو: "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة" (البقرة 261).

(2) ما يجيء بعد تمام المعاني، لإيضاحها وتقريرها، فيشبه البرهان الذي تثبت به الدعوى، نحو:

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع

ونحو:

لا ينزل المجد إلا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

تأثير تشبيه التمثيل في النفس :

إذا وقع التمثيل في صدر القول بعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاء مؤيد بالبرهان، ليقنع السامع.

وإذا أتى بعد استيفاء المعاني كان:

(1) إما دليلاً على إمكانها، كقول المتنبي:

وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

(2) وإما تأييد للمعنى الثابت، نحو:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

وعلة هذا أن النفس تأنس إذا أخرجتها من خفي إلى جلي، ومما تجهله إلى ما هي به أعلم.

ولذا تجد النفس من الأريحية ما لا تقدر قدره، إذا سمعت قول أبي تمام:

وطول مقام المرء في الحي مخلق لدياجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

فالتمثيل يكسب القول قوة، فإن كان في المدح كان أهنر للعوظف، وأنبل في النفس. وإن كان في

الذم كان وقعه أشد، وإن كان وعظا كان أشفى للصدر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وإن كان افتخارا

كان شأنه أبعء، كقول من وصف كأسا علاها الحباب:

وكأنها وكن حامل كأسها إذ قام يجلوها على الندماء

أدوات التشبيه

أدوات التشبيه: هي ألفاظ تدل على المماثلة، كالكاف، وكأن، ومثل، وشبه وغيرها، مما يؤدي معنى التشبيه كضحكي، ويضاهي، ويضارع، ويمائل، ويساوي، وكذا أسماء فاعلها.

فأدوات التشبيه بعضها إسم وبعضها فعل وبعضها حرف، وهي إما ملفوظة وإما ملحوظة، نحو: فاروق كالبدر، وأخلاقه في الرقة مثل النسيم، ونحو: اندفع الجيش اندفاع السيل، أي كاندفاعه.

والأصل في الكاف، ومثل، وشبه، من الأسماء المضافة لما بعدها، أن يليها المشبه به لفظاً أو تقديراً.

والأصل في كأن وشابه ومائل وما يرادفها أن يليها المشبه، كقوله:

كأن الثريا راحة تشبه الدجى لتنظر طال الليل أم قد تعرضا

وكان: تفيد التشبيه، وإذا كان خبرها جامد، نحو كأن البحر مرآة صافية.

وقد تفيد الشك، وإن كان خبرها مشتقاً، نحو: كأنك فاهم، وكقوله:

كأنك من كل النفوس مركب فأنت إلى كل النفوس حبيب

وقد يغني عن أداة التشبيه فعل يدل على حال التشبيه، ولا يعتبر أداة. فإن كان الفعل لليقين أفاد قرب المشابهة، لما فعل اليقين من الدلالة على تيقن الإتحاد وتحقيقه. وهذا يفيد التشبيه مبالغة، نحو: "فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا" (الأحقاف 24) ونحو: رأيت الدنيا سرا با غرارا.

وإن كان الفعل للشك أفاد بعدها، لما في فعل الرجحان من الإشعار بعدم التحقق. وهذا يفيد التشبيه ضعفاً، نحو: "إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منتورا" وكقوله:

قوم إذا لبسوا الدروع حسبتها سحبا مزردة على الأقمار

ونحو قوله تعالى: "وحوور عين * كأمثال اللؤلؤ المكنون" (الواقعة 22.23) ونحو قوله تعالى: "وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام" وكقول الشاعر:

والوجه مثل الصبح مبيض والفرع مثل الليل مسود

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد

في تقسيم التشبيه باعتبار أدواته

ينقسم التشبيه باعتبار أدواته إلى:

1) التشبيه المرسل: وهو ما ذكرت فيه الأداة، كقول الشاعر:

إنما الدنيا كبيت نسجه من عنكبوت

2) التشبيه المؤكد: وهو ما حذف منه الأداة، نحو: يسجع سجع القمري، وكقول الشاعر:

أنت نجم في رفعة وضياء تجتليك العيون شرقا وغربا

ومن المؤكد ما أضيف فيه المشبه إلى المشبه به كقول الشاعر:

والريح تعبت بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

أي أصيل كالذهب على ماء اللجين.

والمؤكد أوجز وأبلغ وأشد وقعا في النفس.

أما أنه أوجز فلحذف أدواته، وأما أنه أبلغ فلا يهامه أن المشبه عين المشبه به.

3) التشبيه البليغ: ما بلغ درجة القبول لحسنه، و الطيب الحسن فكلما كان وجه الشبه قليل الظهور، يحتاج لإدراكه إلى إعمال الفكر، كان ذلك أوقع في النفس، وأدعى إلى تأثيرها واهتزازها، لما هو مركز في الطبع، من أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، والإشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وموقعه في النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف، وما أشبه هذا الضرب من المعاني بالجواهر في الصُدف، فلا يبرز إلا بعد أن تشقَّه عنه.

وسبب هذه التسمية أن ذكر الطرفين فقط، يوهم اتحادهما، وعدم تفاضلها، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه.

والتشبيه البليغ: هو ما حذف فيه أداة التشبيه ووجه الشبه، نحو:

فاقضوا مآربكم عجلا، إنما أعماركم سفر من الأسفار

ونحو:

عزما تم قضب وفيض أكفلهم سحب، وبيض وجوههم أقمار

في فوائد التشبيه

الغرض من التشبيه والفائدة منه هو الإيضاح والبيان وهو إما:

1) بيان حاله: وذلك حينما يكون المشبه مبهما غير معروف الصفة التي يراد إثباتها له قبل التشبيه، فيفيده التشبيه الوصف، ويوضحه المشبه به، نحو: شجر النارج كشجر البرتقال، وكقول الشاعر:

إذا قامت لحاجتها تثنت كأن عظامها من خيزران

شبه عظامها بالخيزران بيانا لما فيها من اللين.

2) أو بيان إمكان حالته، وذلك حين يسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له، معروف واضح مسلم به، ليثبت في ذهن السامع ويقرر، كقوله:

ويلاه إن نظرت وإن هي اعترضت وقع السهام ونزعهن أليم

شبه نظرها بوقع السهام، وشبه إعتراضها بنزعها، بيانا لإمكان إيلاهما بهما جميعا.

(3) أو بيان مقدار حال المشبه في القوة والضعف، وذلك إذا كان المشبه معلوما، معروف الصفة التي يراد اثباتها له معرفة أجمالية قبل التشبيه بحيث يراد في ذلك التشبيه بيان مقدار نصيب المشبه من هذه الصفة. وذلك بأن يعتمد المتكلم لأن يبين للسامع ما يعنيه من هذا المقدار، كقوله:

كأن مشيتها من بيت جارثها مر السحاب لا ريث ولا عجل

وكتشبيه الماء بالثلج في شدة البرودة وكقوله:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوادا كخافية الغراب الأسحم

شبه النياق السود بخافية الغراب، بيانا لمقدار سوادها، فالسواد صفة مشتركة بين الطرفين.

(4) أو تقرير حال المشبه، وتمكينه في ذهن السامع بابرازها فيما هي فيه أظهر، كما إذا كان ما أسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت والايضاح. فتأتي بمشبه حسي قريب الظهور، ويزيد معنى المشبه إيضاحا، لما في المشبه به من قوة الظهور والتمام، نحو: هل عمر الصبا إلا أصيل أو سحر؟ وكقوله:

إن القلوب إذا تنافر ودها مثل الزجاج كسرها لا يجبر

شبه تنافر القلوب بكسر الزجاج، تثبيتا لصعوبة عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأانس والمودة.

(5) أو بيان إمكان وجود المشبه، بحيث يبدوا غريبا يستبعد حدوثه، والمشبه به يزيل غرابته، ويبين أنه من الممكن الحصول كقوله :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

(6) أو مدحه وتحسين حاله، ترغيبا فيه، أو تعضيما له، بتصويره بصورة تهيج النفس قوى الاستحسان، بأنه يعتمد المتكلم إلى ذكر مشبه به معجب، وقد استقر في النفس حسنه ووجهه، فيصور المشبه بصورته، كقوله:

وزاد بك الحسن البديع نضارة

كأنك في وجه الملاحظة خال

ونحو:

فإنك شمس والملوك كواكب

إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

(7) أو تشويه المشبه وتقبيحه، تنفيرا منه أو تحقيرا له، بأن تصوره بصورة تمجها النفس، ويشمئز منها الطبع، كقوله:

وإذا أشار محدثا، فكأنه

قرد يقهقه أو عجوز تلطم

وكقوله:

وترى أناملها على مزمارها

كخنفساء دبت على أوتار

التشبيه الضمني

هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صور التشبيه المعروفة، بل يلمح المشبه والمشبه به، ويفهمان من المعنى ويكون المشبه به دائما برهانا على إمكان ما أسند إلى المشبه، كقول المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرح يميت إيلام

أي أن الذي اعتاد الهوان، يسهل عليه تحمله، ولا يتألم له، وليس هذا الإدعاء باطلا، لأن الميت إذا جرح لا يتألم، وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة، وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة، بل إنه تشابه يقضتي التساوي.

التشبيه المقلوب

حين يعكس التشبيه، فيجعل المشبه مشبها به، وبالعكس تعود فائدته إلى المشبه به لا إدعاء أن المشبه أتم وأظهر من المشبه به في وجه الشبه، ويسمى ذلك بالتشبيه المقلوب أو المعكوس، نحو:

كأن ضوء النهار جبينه، ونحو: كأن نشر الروض حسن سيرته، ونحو: كأن الماء في الصفاء طباعه،
وكقول محمد بن وهيب الحميري:

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

شبه غرة الصباح بوجه الخليفة، ايها ما أنه أتم منها في وجه الشبه. كقول البحتري في وصف بركة
المتوكل:

كأنها حين لجت في تدفقها يد الخليفة لما سال واديهما

وهذا التشبيه مظهر من مظاهر الافتنان والإبداع، كقوله تعالى حكاية عن الكفار: "إنما البيع مثل
الربا" (البقرة 275) في مقام أن الربا مثل البيع، عكسوا ذلك لإيهام أن الربا عندهم أحل من البيع،
لأن الغرض الربح وهو أثبت وجودا من الربا منه في البيع فيكون أحق بالحل عندهم.

تمرين:

بين أنواع التشبيه في ما يلي:

الورد في أعلى العصون كأنه ملك تخف به سراة جنوده

إذا ارتجل الخطاب بدا خليج بفيه يمدد بحر الكلام

كلام بل مدام بل نظام من الياقوت بل حب الغمام

يا صاحبي تيقظا من رقدة تزري على عقل اللبيب الأكيس

هذي المجرة والنجوم كأنها هرة تدفق في حديقة نرجس

تمرين آخر

بين أنواع التشبيه: البليغ والضمي والتمثيل والمقلوب والمؤكد والمفصل والمحمل:

خلط الشجاعة بالحياء فأصبحا كالحسن شيب لمغرم بدلال

ثقائق يحملن الندى فكأنه	دموع التصابي في خدود الخرائد
عذب الفراق لنا قبيل وداعنا	ثم اجترعناه كسهم ناعق
فكأنما أثر الدموع بخدها	طل تناثر فوق ورد يانع
وترى الغصون تميل في أوراقها	مثل الوصائف في صنوف حرير

علم البديع

البديع لغة: المخترع الموجد على غير مثال سابق. وهو مأخوذ ومشتق من قولهم: بدع الشيء، وأبدعه: اخترعه على غير مثال.

واصطلاحاً: هو علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة، وتكسوه بهاء ورونقا، بعد مطابقتها لمقتضى الحال. مع وضوح دلالاته على المراد لفظاً ومعنى.

وواضعه عبد الله بن معتز العباسي المتوفي سنة 274 هجري. ثم أقتفى أثره من عصره قدامة بن جعفر الكاتب فزاد عليها. ثم ألف فيه كثيرون كأبي هلال العسكري وابن رشيق القيرواني، وصفي الدين الحلبي، وابن حجة الحموي، وغيرهم ممن زادوا في أنواعه، ونظموا فيها قصائد تعرف بالبديعيات.

الطباق:

الطباق هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، وهما قد يكونان اسمين، نحو قوله تعالى: "هو الأول والآخر والظاهر والباطن" (الحديد 3). وكقوله تعالى: "وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود" (الكهف 18). أو فعلين، نحو قوله تعالى: "وإنه هو أضحك وأبكى* وإنه هو أمات وأحيا" (النجم 43، 44). وكقوله تعالى: "ثم لا يموت فيها ولا يحيى" (الأعلى 13). أو حرفين، نحو قوله تعالى: "ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف" (البقرة 228). أو مختلفين نحو قوله تعالى: "ومن يضل الله فما له من هاد" (الرعد 33). ونحو قوله تعالى: "أو من كان ميتاً فأحييناه" (الأنعام 122).

فيكون تقابل المعنيين وتخالفاً مما يزيد الكلام حسناً وطرافة.

المقابلة:

المقابلة: هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب كقوله تعالى: "فأما من أعطى واتقى* وصدق بالحسنى* فسنيسره لليسرى* وأما من بخل واستغنى* وكذب بالحسنى* فسنيسره للعسرى" (الليل 5-10). وكقوله تعالى: "ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث" (الأعراف 157).

وقال الرسول صل الله عليه وسلم للأَنْصار: "إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع". وقال خالد بن صفوان يصف رجلا: ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية" وكقوله:

فتى كان فيه ما يسر صديقه
ولكن فيه ما يسوء الأعدايا
وكقوله:

وباسط خير فيكم يمينه
وقابض شر عنكم بشماله
وكقوله:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا
وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل
وكقوله:

يا أمة كان قبح الجور يسخطها
دهرا فأصبح حسن العدل يرضيها

الجناس

الجناس هو تشابه لفظين في النطق، واختلافهما في المعنى. وهو ينقسم إلى نوعين: لفظي ومعنوي.

أنواع الجناس اللفظي

1) الجناس التام: وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء: نوع الحروف، وعددها، وهيئتها الحاصلة من الحركات والسكنات، وترتيبها مع اختلاف المعنى.

2) الجناس غير التام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأربعة السابقة ويجب أن لا يكون بأكثر من حرف، واختلافهما يكون إما بزيادة حرف في الأول، نحو: دوام الحال من المحال، أو في الوسط نحو: جدي وجهدي: أو في الآخر نحو: الهوى مطية الهوان.

3) الجناس المطلق: وهو توافق ركنيه في الحروف وترتيبها بدون أن يجمعهما اشتقاق كقوله صل الله عليه وسلم: "أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها، وعصية عصت الله ورسوله"

4) الجناس المذيل والجناس المطرف: فالأول يكون الإختلاف بأكثر من حرفين في آخره والثاني يكون الإختلاف بزيادة حرفين في الآخر.

5) الجناس المضارع والجناس اللاحق: فالجناس المضارع يكون باختلاف ركنية في حرفين، لم يتباعدوا مخرجاً، إما في الأول، نحو ليل دامس وطريق طامس وإما في الوسط نحو: "وهم ينهون عنه وينئون عنه" (الأنعام 26). وإما في آخره نحو قوله صل الله عليه وسلم: "الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة".

6) الجناس اللفظي: وهو ما تماثل ركناه لفظاً، واختلف أحد ركنيه عن الآخر خطأ، إما الإختلاف في الكتابة (بالنون والتنوين) وإما الإختلاف في الكتابة (بالضاد والظاء، أو الهاء والتاء).

أنواع الجناس المعنوي:

الجناس المعنوي نوعان: جناس إضمار وجناس إشارة.

أ) جناس الإضمار: أن يأتي بلفظ يحضر في ذهنك لفظاً آخر، وذلك اللفظ المحض يراد به غير معناه، بدلالة السياق.

ب) جناس الإشارة: هو ما ذكر فيه أحد الركنين، وأشير للآخر بما يدل عليه، وذلك إذا لم يساعد الشعر على التصريح به.

علم المعاني

إن الكلام البليغ: هو الذي يصوره المتكلم بصورة تناسب أحوال المخاطبين. وإذا لا بد لطالب البلاغة أن يدرس هذه الأحوال، ويعرف ما يجب أن يصور به كلامه في كل حالة، فيجعل لكل مقام مقالا.

وقد اتفق رجال البيان على تسمية العلم الذي تعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اقتضاء الحال باسم "علم المعاني".

تعريف علم المعاني وموضوعه وواضعه:

1) علم المعاني: أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له.

فذكاء المخاطب حال تقتضي إيجاز القول، فإذا أوجزت في خطابك، كان كلامك مطابقا لمقتضى الحال، وغباوته حال تقتضي الإطناب والإطالة، فإذا جاء كلامك في مخاطبته مطنبا، فهو مطابق لمقتضى الحال، ويكون كلامك في الحالين بليغا، ولو أنك عكست لانتفت من كلامك صفة البلاغة.

2) موضوعه: اللفظ العربي، من حيث إفادته المعاني الثواني التي هي الأغراض المقصودة للمتكلم، من جعل الكلام مشتملا على تلك اللطائف والخصوصيات، التي بها يطابق مقتضى الحال.

3) فائدته:

أ) معرفة إعجاز القرآن الكريم، من جهة ما خصه الله به من جودة السبك وحسن الوصف وبراعة التراكيب ولطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سهولة التركيب، وجزالة كلماته، وعذوبة ألفاظه وسلامته، إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب عن مناهضته وحارت عقولهم أمام بلاغته.

ب) والوقوف عن أسرار البلاغة والفصاحة في منثور كلام العرب ومنظومه، كي تحتذي حدوده، وتنسج على منواله، وتفرق بين جيد الكلام وورديته.

4) وواضعه: الشيخ عبد القاهر الجرجاني، المتوفي سنة 471 هجري.

5) واستمداده: من الكتاب الشريف والحديث النبوي وكلام العرب.

وأن المعاني جمع معنى وهو في اللغة المقصود. وفي اصطلاح أهل البيان: هو التعبير باللفظ عما يتصوره الذهن، أو هو الصورة الذهنية من حيث قصدك للفظ،

في حقيقة الخبر:

الخبر: كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته. وإن شئت فقل: "الخبر هو ما يتحقق مدلوله في الخارج بدون النطق به" نحو: العلم نافع، فقد أثبتنا صفة النفع للعلم، وتلك الصفة ثابتة له سواء تلفظت بالجملة السابقة أم لم تتلفظ، لأن نفع العلم أمر حاصل في الحقيقة والواقع. وإنما أنت تحكي ما اتفق عليه الناس قاطبة، وقضت به الشرائع دون نظر إلى إثبات جديد.

والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع ونفس الأمر. والمراد بكذبه عدم مطابقته له.

فجملة العلم نافع إن كانت نسبه الكلامية - وهي ثبوت نفع العلم - المفهومة من تلك الجملة مطابقة للنسبة الخارجية، أي موافقة لما في الخارج والواقع فصدق وإلا فكذب نحو: الجهل نافع، فنسبه الكلامية ليست مطابقة وموافقة للنسبة الخارجية.

المقاصد والأغراض التي من أجلها يلقي الخبر

الأصل في الخير أن يلقي لأحد الغرضين:

أ) إما إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، إذا كان المخاطب جاهلا له ويسمى هذا النوع (فائدة الخبر)، نحو: الدين المعاملة.

ب) وإما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم أيضا بأن المخاطب يعلم الخبر، كما تقول لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الإمتحان، وعلمت من طريق آخر، فتقول له: أنت نجحت في الإمتحان، ويسمى هذا النوع (لازم الفائدة) لأنه يلزم في كل خبر أن يكون المخبر به عنده علم أو ظن به.

وقد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تستفاد بالقرائن، ومن سياق الكلام، وأهمها:

1) الاسترحام والاستعطاف، نحو: إني فقير إلى عفو ربي.

- 2) وتحريك الهممة إلى ما يلزم تحصيله، نحو: فليس سواء عالم وجهول
- 3) وإظهار الضعف والخشوع، نحو: "رب إني وهن العظم مني". (مريم 4).
- 4) وإظهار التحسر على شيء محبوب، نحو: "رب أي وضعتها أنثى" (آل عمران 36)
- 5) وإظهار الفرح بمقبل، والشماتة بمدبر، نحو: "جاء الحق وزهق الباطل".
- 6) والتوبيخ كقولك للعائر: الشمس طالعة.
- 7) والتذكير بما بين المراتب في التفاوت، نحو: لا يستوى كسلان ونشيط.
- 8) والتحذير، نحو: أبغض الحلال إلى الله الطلاق.
- 9) والفخر، نحو: إن الله اصطفاني من قريش.
- 10) والمدح كقول المتنبي في مدح سيف الدولة :
فإنك شمس والملوك كواكب
إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

تمرين

عين الأغراض المستفادة من الخبر في الأمثلة الآتية:

قال الله تعالى: "الله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير" (البقرة 284).

وقال تعالى: "عبس وتولى* أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى* أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى" (عبس 1-10).

وقال صلى الله عليه وسلم: "عدل ساعة في حكومة خير من عبادة ستين سنة"

وقال: "إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه، فأدخل عليه الجور في عدله".